Journal of Arabic Language Specialized Research Vol. 1, No. 1, January 2015, 32-60



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، كانون الثاني 2015م.

e-ISSN: 2289-8468

الاستلام: 2012/10/2 القبول: 2012/12/1 النشر: 2013/1/15

THE SEMANTIC FUNCTION OF SYNTHETIC SYNTHESES OF THE NOMINAL SENTENCE - AL-HADITH AL-QUDSI AS A MODEL

الوظيفة الدّلالية للمورفيمات التركيبيّة المؤكِّدة للجملة الاسميّة

الحديث القدسيّ أنموذجاً (دراسة تركيبيّة دلاليّة)

نبال نبيل نزال – علاء الدين أحمد الغرايبة

جامعة الزيتونة

الأردن

to.nibal@yahoo.com

ملخص

يسعى هذا البحث المعنون بـ(الوظيفة الدّلالية للمورفيمات التركيبيّة المؤكّدة للجملة الاسميّ – الحديث القدسيّ ً (دراسة تركيبيّة دلاليّة)؛ جاهدًا الكشف عن دلالة المورفيمات المؤكدة للجملة الاسمية من خلال رصد تلك ات ووصفها ثم تحليلها ضمن التراكيب الواردة فيه؛ مستنداً إلى فكرة أنه لا يمكن الفصل بين علمي التركيب .

فقد عمد البحث لتحقيق ذلك إلى مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعاني؛ للخروج معهما بدراسة نحوية لتركيب، كما تُعنى بالتحليل، فيما أطلق عليه الجرجاني نظرية (النظم)، وهو: توخي معاني النحو. ومنطلقاً – أي – من فكرة تشومسكي التي تفترض وجود مستويين للبنية التركيبية: بنية عميقة، وبنية سطحية، تربط بينهما علائق تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية التركيبية العميقية؛ لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر بها الجملة، من المنهج الوصفي التحليلي سبيلاً لذلك.



Abstract

This study entitled The Semantic Function of Structural Morphemes Underlying the Nominal Sentence. The Qudsi (God attributed) Hadith as an example : (A structural – semantic study).

Endeavors to define the semantic value of morphemes that underline the nominal sentence by focusing on these morphemes, defining and analyzing them within the structures where they occur. This attitude emanates from the notion that both structuralism and semantics are indivisible.

The research seeks to achieve this aim by combining the feedbacks of syntax and semantics with a view to achieving a syntactic study concerned with structures as well as analysis, a thing described by Al-Jurjani as the theory of system, which means discovering the meaning of syntax. The research is also based on Chomsky's theory, which assumes the presence of two levels for the sentence, deep structures and surface structures which are joined by transformational relations that work to change one or more aspects of the deep structures to take it up to the surface structures that depict the final form of the sentence. The study has adopted a descriptive analytic approach to achieve this goal.

المقدمة:

لقد حولت اهتمامات تشومسكي الدرس اللغوي من وصف مظاهر السلوك اللغوي للمتحدثين وتحليله الى وصف نظام المعرفة العقلي الذي يكمن وراء هذا السلوك، فتطورت بذلك الأسس النظرية والمنهجية لعلم اللغة الحديث، من خلال رفضها معظم المبادئ والأسس التي نادت بها المدرسة الوصفية البنيوية رفضًا نابعًا من منطلقات فلسفية ومعرفية لغوية، مع عرضها بدائل من المبادئ والأسس النظرية والمنهجية للتحليل اللغوي الأكثر توفيقًا[i].

فبعد صدور كتاب تشومسكي (جوانب من نظرية النحو) وظهور مبادئ نظريته النموذجية ظهرت خلافات عميقة بين تشومسكي وزملائه حول استجلاء دور الدلالة في القواعد، وعمّا إذا كان لهذه الدلالة دور في تحديد البنية العميقة للجملة أو في كتابة القوانين النحوية؛ الأمر الذي أدى الى ظهور منهجين: أولهما: يمثله تشومسكي ومؤيدوه، عُرِف بـ (الدلالة التأويلية Interpretive Semantic)، ويرى أن التحويلات تغيّر من المعنى، وأن قوانين التأويل الدلالي يجب أن تعمل على مستوى العميقة ومستوى البنية السطحية للوصول الى التأويل الدلالي الصحيح. أما المنهج الآخر فيمثله المعارضون من تلامذة تشومسكي، ويرى هؤلاء أن التحويلات يجب أن لا تغيّر من المعنى، ويتصورون بُنى عميقة أكثر تجردًا وعمقًا من تلك التي تولدها لنا قوانين التركيب، فيما يعرف بـ (الدلالة التوليدية Generative semantic)[ii]

وتأسيسا على ما سبق؛ فإن تشومسكي يفترض وجود مستويين للبنية التركيبية: بنية عميقة، وبنية سطحية، وتربط بينهما علائق تحويلية تعمل على تغيير جانب أو أكثر من البنية التركيبية العميقية؛ لتصل بها إلى البنية السطحية التي تظهر بها الجملة[iii].فـ(البنية العميقة Deep structure) عند تشومسكي هي البنية المجردة والضمنية التي تُحدد التفسير الدلالي، أو هي بنية شكلية ترتبط ارتباطا مباشرًا بالمعنى، وليس بالصوت[iv]. فهي بنية ضمنية في ذهن المتكلم أو المستمع ولا تظهر في الكلام، ويتم توليدها عن طريق قواعد الأساس في المكون التركيبي. أما البنية السطحية surface structure) فهي:" ترتيب الوحدات السطحي الذي يحدد التفسير الصوتي، والذي يرجع الى شكل الكلام العقلي الفيزيائي، والى شكله المقصود والمدرك"[v]. فهي بذلك تمثل شكل الكلام المنطوق وصوره المتمثلة في أصوات لغوية، إنها الناتج السطحي الصوتي المتشكل والمتحوّل عن البنية العميقة نتيجة لتطبيق قوانين تحويلية معينة، فهي ترتبط بالبنية العميقة عن طريق قواعد التحويل وقوانينه. فقواعد الأساس في المكون التركيبي تولّد البنية العميقة في ذهن المتكلم، ثم تقوم القواعد التحويلية بتحويل المكون التركيبي الى بنية سطحية منطوقة يتعامل بها المتكلم مع الآخرين.

لقد أصبح علم اللغة الحديث يولي الاهتمام الأكبر للجملة معطيا الأسبقية والامتياز الأكبر لميدان التركيب، فمناهج التحليل التي أدخلها علماء اللغة، وبصفة خاصة التوزيعية والتحليل بالمكونات المباشرة سمحت بوصف عميق للبنية التركيبية للغة، كما سمحت بتشكيل قضايا التركيب التقليدي من جديد، من مثل قضية الوظائف التركيبية[vi].

أما مصطلح المورفيم فهو مأخوذ من الكلمة اليونانية (morpheme)، بمعنى شكل أو صيغة، ويقابلها في الإنجليزية(morf) [vii]. وقد نشأ هذا المصطلح مع تحديد اتجاه اللسانيات البنيوية الذي أصبح اتجاها واضح المعالم والمبادئ. ويعدّ هذا المصطلح في الدراسات الحديثة الرديف المقابل لمفهوم الوحدة الصرفية، فهو صورة من صور المصطلح الغربي المراد

تطبيقه في الدراسات اللغوية على اللغة العربية، الأمر الذي دفع علماء اللغة المحدثين والوصفيين منهم على وجه التحديد إلى إطلاق مصطلح(مورفيم) على المصطلحات التقليدية نحو: الجذر، والأصل، والنهايات التصريفية[viii]، وعرفوه بأنه أصغر وحدة صرفية ذات معنى على مستوى التركيب[ix]. وقد أصرّ عدد من الباحثين المحدثين بوجوب تسمية المصطلح على غرار المصطلحات الأجنبية الأخرى، فأية محاولة لتعريبه تعدّ مسخًا له[x]. فهو مصطلح عالمي —كما يرى أحمد مختار عمر– قد أقرّه المجمع اللغوي، وقد أدخلوه في حظيرة الكلمات العربية[xi]. فهم وإن اختلفوا في تعريب (مورفيم)؛ وقد ذهبوا فيه مذاهب شتى تبعا للثقافات المختلفة، إذ استخدم بعضهم مصطلحات خاصة هي عبارة عن جهد شخصي وتأويل فردي[xii]. إلا أنّ الشائع في استخدامه هو مصطلح (مورفيم)؛ ولهذا فقد ارتضى هذا البحث استخدامه.

ويختص المورفيم في دخوله على الاسم والفعل سواء أكان ذلك في دخوله على الأصل(الجذر)، أو بما يلصق بهما، كقولنا من كتب:(كتبت، واكتبي، وكاتب وكاتبون، وكتّاب، وكاتبات،...إلخ). فـ(يكتبون) —مثلا – فعل قد أُلحِق بمورفيم (ون) للدلالة على الجمع. و(كاتبان) اسم قد أُلحِق به مورفيم (الألف والنون) للدلالة على النوع والعدد. أم كان ذلك متمثلا بالحركات التي تلحق الأفعال والأسماء التي تنتج من التغييرات الحركية في البنية العربية حال تعرضها لأي باب من أبواب الصرف[xiii].

وتعدّ الأدوات المؤكِدة الداخلة على الجملة الاسمية من المورفيمات التي تعطي دلالة مقصودة، منتزعة من درس لغوي عام هو (التوكيد). وقد تمايزت دراسة مبحث (التوكيد) عند النحويين والبلاغيين، فالتوكيد عند نحاة العربية من التوابع، أي يتبع ما قبله إعراباً. يقول صاحب الألفية[xiv]:

يَتْبَعُ في الإِعْرابِ الأَسْماء الأَولْ   نَعْتٌ، وتَوْكِيدٌ، وعَطْفٌ، وبَدَلْ

فدرسوه وفق الشكل البنائي للجملة، وتبعاً لنظرية العامل. أما البلاغيون فانصبّ اهتمامهم على المعنى والدلالة، إذ وضعوا التوكيد من أضرب الخبر، استناداً إلى ظنّ المخاطَب أو المتلقّي عند توجيه الرسالة أو الخطاب إليه، فإذا كان خالي الذهن، أو مصدّقاً غير مُنكِر، أو غير شاكّ، أو غير متردّد، فيكون الخطاب أو الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن المخاطَب متمكّن من نفسه، فلا حاجة للتوكيد. وإذا كان المخاطَب شكّاً متردّداً قلقاً غير واثق مما يُقال له فالحاجة للتوكيد مستحسنة؛ لصرف الشكّ عن قلبه، وإبعاد التردّد عن خوالج نفسه. أما إذا كان المخاطَب مُنكِراً جاحداً غير مُؤمِن فيما يُذكَر فلابدّ لزيادة التوكيد بأكثر من عنصر؛ لقبول الخبر الملقى عليه، وإزالة ما علق في نفسه من شكوك، وإماطة ما خالجه من شبهات[xv]

وعليه؛ فللتوكيد أساليب منها[xvi]: التوكيد اللفظي؛ أي بتكرار اللفظة المراد توكيدها. والتوكيد المعنوي؛ وذلك بإعادة المؤكّد بألفاظ أخرى، نحو: عين، كلّ، جميع... والتوكيد بالمورفيمات المؤكدة؛ مثل: (إنّ، وأنّ)، و(لكنّ)، و(اللام)، و(ألفاظ القسم)، و(قد)... والتوكيد بأسلوب القصر؛ بدخول (إنما) و(النفي والاستثناء) وغيرها... ولكلّ أسلوب دلالاته المستهدِفة، وفق الرسالة أو الخبر المراد إيصاله لذهن المتلقّي، ولحالته النفسية. وسيقف البحث عند ما يُناط بالجملة الاسمية فحسب في الأحاديث القدسيّة مُفصّلاً، وهي المادة التطبيقية للدراسة.

أولاً: التوكيد بمورفيمات التوكيد

تدخل مورفيمات التوكيد (إنّ)، و(إنّ واللام)، و(أنّ)، و(لكنّ) على الجمل فتحولها من صورتها الخبرية العميقة إلى صورة أخرى سطحية مفادها التوكيد؛ وذلك أن عملية التحويل هذه أنتجت جملاً بسيطة مؤكدة؛ حملت في طياتها دلالات أخرى، يمكن أن نستقرئها من خلال السياقات القدسية، كالترغيب والترهيب والإنكار والتقرير... وغيرها من الدلالات التي استخدمها الخطاب القدسي؛ لتتواءم مع نفسية المتلقّي أو المخاطَب، فتارة يدخل مورفيم واحد، وتارة أخرى يدخل مورفيمان، وأحياناً ثلاثة إلى السياق القدسيّ؛ تبعاً لحالة المخاطَب كما ذكرنا آنفاً.

1) التوكيد بالمورفيم (إنّ)

ذهب علماء العربية [xvii]إلى أن المورفيم (إنّ) يختص بالدخول على الجملة الاسمية، وله الصدارة في الكلام؛ لأنه لا يباشر إلا المبتدأ، ويستعمل للدلالة على توكيد مضمون الجملة، إذا تطلب المقام الخطابي ذلك، ، «وتنقل الجملة من جملة خبرية من الضرب الأول إلى جملة خبرية تلقى على سمع مَنْ هو على درجة من التردد في تقبل الخبر»[xviii].

اتصالات (إنّ) تتنوع وفق الأغراض البلاغية المناطة بها، فتتصل أحياناً بالضمير، وأحياناً أخرى بالاسم. ومن خلال تتبع جمل الأحاديث القدسية فقد تبيّن ما يلي:

(أ) المورفيم (إنّ) المتّصل بالضمير:

تباينت الضمائر المتصلة (بأنّ) في سياقات الأحاديث القدسية، مع: (ي)، و(نا) المتكلمين، و: (ه)، (ها)، (هن)، (هم) للغائبين، و: (كَ)، و(كم) للمخاطبين، لترتسم البنية السطحية المحوّلة عن البنية العميقة في عملية التأكيد، والغرض من الرسالة المرسلة إلى من يُشار إليهم لا غيرهم، وجاءت الضمائر تلكم لتؤلف بين ما تصدرت به الجملة بدخول المورفيم الدال على التأكيد (إنّ) بالخبر المراد إيصاله، فلولاها لما سبك الكلام، ولما ائتلف تركيب الجملة المحولة، ومنها ما نسوقه في الآتي:

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ي):**

ومن شواهده في الأحاديث القدسية قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-:

«إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً دَعا جِبْريلُ–عليهِ السّلام– فقال: إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، قالَ: فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، ثمَّ يُنادي في السَّماءِ فَيَقولُ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، قال: ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ القَبولُ في الأَرْضِ، و إذا أَبْغَضَ اللهُ عَبْداً، دَعا جِبْريلُ، فيقولُ: إنِّي أَبْغَضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبغِضْهُ جِبريلُ، ثمَّ يُنادي في أَهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاناً، فَأَ[غضوهُ، قال/ فَيُبْغِضونِهُ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ البَغضاءُ في الأَرْضِ»[xix]. وعليه؛ فإن الجمل الشاهدة في الحديث القدسي السابق هي:

- «إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ»جملة سطحية ←--- (أنا محبّ فلاناً فأحبَّه) جملة عميقة
- «إنِّي قَدْ بَغَضْتُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ» جملة سطحية←--- (أنا مبغضٌ فلاناً فأبغضْه) جملة عميقة

كما ورد المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ي) في حديث قدسي آخر: (يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي)، وتحليله:

- «عبادي: إنّي حَرّمْتُ الظُّلمَ عَلى نَفْسي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُم مُحرَّماً، فلا تَظالَموا»[xx] جملة سطحية ←--- (أنا محرّم الظلمَ...) جملة عميقة.

وجاء المورفيم (إنّ) متصلاً بالمورفيم (ي) في حديث (فضل الذكر) لأولئك المؤمنين الذين تتنزّل عليهم الملائكة، فيسألهم ربّ العزّة عن أحوالهم، وماذا يطلبون، ومم يتعوّذون، فيُقال: يطلبون الجنة، ويتعوّذون من النار، فيقول جلّ علاهُ:

- «إنّي أُشْهِدُكُمْ أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُم»[xxi] جملة سطحية ←--- (أنا مُشهِدكم...). جملة عميقة

إن التراكيب البنيوية العميقة السابقة تتجه قبل عملية التحويل والزيادة إلى الإخبار عن أمور قد تجعل المتلقي يشك في درجة صحتها، وهي: محبة الله لعبد ما، أو بغضه له، وتحريم الظلم على الله وعلى عباده، وإشهاد الخلق بالمغفرة لهم؛ فحينئذ تتساءل نفس المتكلم: كيف لله تعالى أن يحب فلاناً أو يبغضه، وهو الذي خلقه؟ وكيف يُحرّم الظلم، والإنسان يظلم، ويكرر الظلم؟ وكيف يغفر الله ذنوب المسيئين؟

لكي تحقق الرسائل مضمونها للمتلقي، وهي: الترغيب والترهيب والإنذار، فقد تصدرت هذه الأخبار بـ(إن)، وضمير المتكلم (أنا) الذي حوّل إلى (ني)؛ ليؤكد أن مصدر الخبر هو الذات الإلهية لا غيرها، ويبعد عن المتلقي أدنى شكّ في صحة الخبر.

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (نا):**

ومن الأمثلة على هذا التركيب قول الرسول –صلى الله عليه وسلم–:

- «إنّا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادي...» جملة سطحية ←--- (نحن سمعنا منادياً...) جملة عميقة

إن خبر سماع المنادي يوم البعث –على لسان الأشهاد الذين ينادي عليهم المنادي؛ حتى يلحق كل فريق بما كانوا يعبدونه في دنياهم– :«إنّا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادي، لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بما كانوا يَعْبُدونَ»[xxii] فجاء على لسان المتكلمين (نحن) المحولة إلى (نا)، ؛ لتدعم الخبر بأننا جميعاً الذين سمعوا، ولم يُستثنَ منا أحد، ولتقوية الخبر في ذهن المتلقي جاء المورفيم (إن)؛ لكي لا يدع مجالاً للشك في مثل هذا الخبر، فلو كانت الجملة على ما هي عليه في بنيتها العميقة: (نحن سامعون منادياً) لما أدت وظيفتها الدلالية في تثبيت الخبر وتقويته وتأكيده، كما أدّتها الجملة السطحية بوجود (إن).

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (الهاء):**

ومن الأمثلة على هذا التركيب قول الرسول –صلى الله عليه وسلم–:

- «إنّه كان توّاباً»[xxiii] جملة سطحية ←--- (هو توّاب) جملة عميقة
- «إنَّهُ قَدْ نَهاني عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ»[xxiv] جملة سطحية ←--- (هو ناهيني...) جملة عميقة

نلمس دلالة الترغيب والتحبب من الخبر المرسل :«إنّه كان توّاباً» في السياق القدسي على لسان خير البشرية محمد صلوات الله عليه الذي كان يُكثر من التسبيح والاستغفار، فسُئل عن السبب، فأجاب بأن الله أخبره بأنه سيرى علامة في أمته، فإذا رآها عليه أن يُكثر منهما؛ أي التسبيح والاستغفار، وقد رآها في سورة النصر: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾[xxv].كما نلمس في قوله: (كان تواباً) الفعل الدّال على الاستمرارية في قبول التوبة مقابل الكمّ الهائل من المعاصي، وقد دخل الضمير– ضمير الشأن– (ـهُ) المحول عن

(هو)؛ ليشير إلى الذات الإلهية في الجملة العميقة: (كان تواباً)، وقد التحم مع المورفيم (إنّ)؛ لينبني تركيب الجملة السطحية على النحو الآتي: «إنّه كان توّاباً»؛ فأنزل المتلقي هنا مقام السائل الذي يسأل عن التوبة بعد عمل الذنب: أيقبل الله توبتي، بعد ضلالتي؟ فكان الجواب مع دخول (إنّ)، وضمير الشأن الذي يسبك المورفيم المؤكد قبله مع الخبر بعده؛ ليدفع التردد عن المتلقي في طلب الاستتواب الدائم.

أما قوله: «إنَّهُ قَدْ نَهَاني عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ»(xxvi)فقد جاء القول على لسان آدم –عليه السلام– في حديث الشفاعة، ردّاً على الذين أتوه يوم القيامة طالبين شفاعته، فردّهم، وطلب منهم الذهاب إلى غيره من الشفعاء؛ لاعتقاده بأنّ الله عز وجلّ قد غضب غضباً لم يغضب قَبْلَهُ مِثْله، وهو قد اقترف ذنباً قد لا يغفر، لذا قال : « إنَّهُ قَدْ نَهَاني عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسي، نَفْسي، نَفْسي».(xxvii) تكشف الرسالة عن الإقرار بالمعصية بعد النهي عن أكل الشجرة، واعتراف آدم– عليه السلام– بأنّ مَنْ نهاه عن الشجرة هو الله ذاته، فجاءت رسالة المتكلم مستخدمة توكيدات متتالية، أولهما ما تصدر الكلام به بـ(إنّ) الدالة على التوكيد، وثانيهما ضمير الشأن(ـهُ) المحول عن (هو)، والثالث دخول (قدْ) على الفعل الماضي الدالة على تحقيق الأمر.

إننا لو أمعنا النظر في الجملة العميقة قبل عملية التحويل في حالتها الأولى، أي قبل دخول الزيادة إليها:(الله ناهيني عن الشجرة)؛ لتبيّن أنها تحوي مضمون التأكيد على دلالة الرسالة بالجملة الاسمية، وزاد في توكيدها وجود التوكيدات المتعاقبة في بنيتها، لا سيما دخول (إنّ)؛ فدخولها دفع الجملة إلى تحويلها من دلالة خبرية اعتيادية إلى دلالة تأكيدية، أفادت الإقرار بالنهي القطعي.

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (ها)**

ومن الشواهد على مثل هذا التركيب قوله –صلى الله عليه وسلم–:

- «إنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدان»(xxviii)جملة سطحية ←--- (هي مثل شوك السعدان) جملة عميقة
- و«...فإنَّها تَحِيّتُكَ، وتَحِيّةُ ذُرِّيّتِكَ...» (xxix)جملة سطحية ←--- (هي تحيّتك) جملة عميقة

احتوت كلّ جملة سطحية مما سبق ذكره على تأكيديْن، هما:(إنّ)، و(ها) ضمير الشأن المحوّل عن (هي)، وهما رسالتان أفادت أولاهما: التحذير والتخويف من كلاليب جهنّم التي تشبه نوعاً من الأشواك الكريهة، يقال لها شوك السعدان. وأفادت الأخرى الترغيب في نشر التحية، وهي: السلام عليكم ورحمة الله، في الحديث القدسيّ: «خَلَقَ اللهُ آدمَ على صورته، طولُهُ ستّونَ ذراعاً، فلمّا خَلَقَهُ قال: اذْهَبْ فسلّم على أولئكَ النَّفَرِ من الملائكةِ، جُلوسٌ، فاسْتمِعْ ما يُحَيّونكَ، فإنَّها تَحِيّتُكَ، وتَحِيّةُ ذُرِّيّتِكَ، فقال: السَّلامُ عليكُم، فقالوا: السلامُ عليكُم ورَحْمة الله، فزادوه (ورَحْمة الله)...» (xxx). فلو جاءتا بالتركيب العميق قبل التحويل، وقبل دخول(إنّ)، و(ها) لأفادتا الإخبار فحسب عن:(الكلاليب مثل الشوك) في الجملة الأولى، و(هي تحيّتكَ) في الجملة الثانية؛ ولما أفادتا الغرض من وراء الرسالتين، فأنزلت المتلقّي مقام المتردد في قبول أو تصديق فحواهما؛ لذا ألزمت المخاطِب باستخدام (إنّ) لتأكيد الخبرين المطلوبين.

- **المورفيم (إنّ) المتصل بالضمير (هم):**

أما الأمثلة على هذا التركيب فقوله –صلى الله عليه وسلم–:

- «...فإِنَّهُمْ لا يَموتونَ فيها»[xxxi] جملة سطحية ←--- (هم لا يموتون/ أحياء) جملة عميقة
- «يا محمّدُ، إِنَّهُنَّ صَلَواتٌ خَمْس، كُلّ يوْمٍ وليْلَةٍ...» [xxxii]←---(هنّ صلوات خمس) جملة عميقة.

إننا لو عقدنا المقارنة بين الجملتين: العميقة، والمحولة عنها في التركيبيْن المتقابلين الآنفيْن الذكر؛ لتبين أن الجملة العميقة في واقعها الخبري لا تفيد مضمون الخطاب المقصود، ذلك أن وقْع الخبر في الجملة العميقة: (هم لا يموتون فيها) يفيد أنهم أحياء ليس إلا، فهي تنفي عنهم فعل الموت، جملة إخبارية، بينما ظهرت الدلالة المقصودة من وراء الجملة السطحية: «إِنَّهُمْ لا يَموتونَ فيها»، وهي الوعيد والتحذير اللذان سيقابلا أولئكم، فلا موت في الدار الآخرة؛ لذا عليهم أن يحذروا فثمة ما يوعدون، في السياق القدسي: «أَمّا أَهْلُ النّارِ الذينَ هُمْ أَهْلُها، فإِنَّهُمْ لا يَموتونَ فيها، ولا يَحْيَوْنَ... »[xxxiii]، فهذا التحويل الملموس من الدلالة الإخبارية إلى الدلالة الوعيدية ساقه وجود المورفيم المؤكِّد (إنّ)، وعضده ضمير الشأن (هم).

أما قوله –عليه الصلاة والسلام–:«إِنَّهُنَّ صَلَواتٌ خَمْس» فهي جملة سطحية محولة عن (هنّ صلوات خمس)، وقد ألقت الجملة العميقة خطابها بحقيقة ثابتة للعيان، أما دخول المورفيم (إنّ) على الجملة بعد التحويل والزيادة؛ فلاعتبار أن المتلقي شاكّ في حقيقة عدد الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، فأرادت الرسالة إيصال خبر مؤكد، لا ريب فيه.

ومن أمثلته كذلك قوله –صلى الله عليه السلام–:

- «إِنَّكَ لا تُظْلَم...» [xxxiv]جملة سطحية←--- (لا تُظلم) جملة عميقة
- «إِنّكُمْ تُخْطِئونَ باللَيْلِ والنَّهارِ»[xxxv]جملة سطحية←--- (أنتم تخطئون) جملة عميقة

«إِنّكُمْ تُحشرونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً»[xxxvi]جملة سطحية ←---(أنتم تحشرون) جملة عميقة

يكشف المشهد الأول عن محاسبة الله للعبد، ومدّ سجلاته أمامه، واعتراف العبد بما اقترف، فيسأله المولى–عزّ علاه–: «أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقولُ: لا ياربِّ، فيقولُ: بَلى، إنَّ لَكَ حَسَنَةً، فإِنّهُ لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتُخرَجُ بِطاقةٌ، فيها أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأَشهَدُ أنَّ محمّداً عبْدُهُ ورسولُهُ، فيقولُ: أَحضُر وَزْنَكَ، فيقول: يا ربِّ، ما هذهِ البِطاقةُ معَ هذه السّجِلاتِ؟ فقال: إِنَّكَ لا تُظْلَم، فقال: فَتوْضَعُ السجلاتُ في كَفّةٍ، والبطاقَةُ في كَفّةٍ، فطاشَتْ السّجِلاتُ، وثَقُلَتْ البِطاقة، فلا يُثقلُ مع اسْمِ اللهِ أَحَد»[xxxvii]. فبعد السؤال والحوار يأتي الجواب بالجملة السطحية المؤكدة بـ: «إِنّكَ لا تُظْلم»

وفي قوله: «يا عبادي، إِنّكُمْ تُخْطِئونَ باللَيْلِ والنَّهارِ، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوب جميعاً، فاسْتَغْفِروني، أَغْفِرُ لكُم»[xxxviii] يكشف المشهد عن تأكيد الله تعالى لعباده.

في حين جاء الحديث القدسي الثاني: «إِنّكُمْ تُخْطِئونَ باللَيْلِ والنَّهارِ» في الحشر وأهواله:«إِنّكُمْ تُحشرونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً»[xxxix] ؛ ولتصوير مشاهد يوم القيامة.

إن هذه الدلالات المثبوثة: الطمأنة بعدم الظلم، وإقرار حقيقة البشرية الخطّاءة ليل نهارَ، وحشر الناس في ذلكم اليوم العصيب حفاة عراة، وردت في إخبارات قد تدفع بنفس المتلقي إلى الشك في رسالة المتكلم، وعدم اليقين من صحة الخبر، أو التردّد في تصديق رسالته؛ لذلكم فإن المرسِل أحدث تحويلاً في البنية التركيبية للجملة العميقة، فاستخدم مورفيم التوكيد (إنّ) لتحويلها

إلى البنية السطحية؛ وذلك تدعيماً لمضمون رسالته، وقطعاً عن المتلقّى أدنى شكّ في تحقيق الغرض الدلاليّ لرسالته، سواء أكانت هذه الرسالة تفيد الطمأنة أو المراقبة أو الوعيد.

وعليه؛ كان لا بدّ من وسيلة تنتزع الشكوك من نفس المتلقي؛ حتى يتمّ تحقيق مقصد الرسالة، ودلالتها البيانية، وقِران (إنّ) بضميري الخطاب (ك) المحوّلة عن (أنتَ)، و(كم) المحوّلة عن (أنتم)، لتلتحم عناصر الجملة بأنّ مع الخبر وليزيد التأكيد على مضمون الرسالة بأن الخطاب لك أنت لا غيرك، ولكم أنتم لا غيركم.

(ب) المورفيم (إنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

يدخل المورفيم (إنّ) على الاسم[xl] في سياقات قدسية كثيرة، منها:

- «إنَّ بَيْنَ يَدَي السّاعَةِ دَجّالينَ كَذّابينَ، قَريباً مِنْ ثلاثينَ، كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أنَّهُ نَبِيّ»[xli] ---→ (دجالون كذابين بين يدي الساعة كلّهم يزعم أنه نبيّ) جملة عميقة

وذلكم في معرض الحديث عن الفتن التي تلحق الناس في آخر الزمان، قُبيل القيامة، ومنها ظهور الدجالين، وعددهم قرابة ثلاثين، يزعمون أنهم أنبياء.

- «إنَّ لي عَبْداً بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ... هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ»(أي من موسى عليه السلام) [xlii]جملة سطحية---→(عبد لي هو أعلم منكَ) جملة عميقة

طلب المولى عزّ علاه من موسى –عليه السلام– أن يذهب إلى مجمع البحرين، ويلتقي بمن هو أعلم منه؛ وذلك تأنيباً وتأديباً للنبيّ بادعائه أنه هو أعلم مَنْ في الأرض، عندما سأله أحد بني إسرائيل عن أعلم أهل الأرض.

- «إنَّ مَعَ الدَّجّالِ إذا خَرَجَ ماءً وَناراً... »[xliii]جملة سطحية ---→(خروج ماء ونار مع ظهور الدجال) جملة عميقة

ظهور الدجال علامة من علامات الساعة، وكان الحديث في معرض تنبيه الناس إلى خروج الدجال وبين يديه الماء والنار، وتكملة الحديث: «فأمّا الذي يَرى الناسُ أَنّها النارُ، فَماءُ بارِدٌ، وأمّا الذي يَرى الناسُ أَنّها ماءٌ بارِدٌ، فنارٌ تُحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ في الذي يَرى أَنها نارٌ، فَإنّهُ عُذْبٌ بارِدٌ»[xliv]

- «إنّ أَوَّلَ ما يُحاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ صَلاتُهُ...» [xlv]جملة سطحية <----(أول الحساب... الصلاة) جملة عميقة

تنبيه إلى منزلة الصلاة، فإن صلحت فنجح ونجى وأفلح، وإن فسدت خاب وخسر، فهي من أهم عبادات وأعمال البشر، وهي أول عمل يحاسب العبد عليها من أعماله.

- «إنَّ عَدُوَّ اللهِ إبْليسَ لما عَلِمَ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجابَ دُعائي وَغَفَرَ لأُمَّتي، أَخَذَ التُّرابَ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلى رَأْسِهِ، وَيَدْعو بِالوَيْلِ والثُّبورِ، فَأَضْحَكَني ما رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ»[xlvi] جملة سطحية ←---(عدو الله إبليس آخذ التراب، حاثٍ رأسه...) جملة عميقة

عشية عرفة دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمته بالمغفرة، فكان لإبليس ذاك الموقف، كارهاً مقهوراً ممتقعاً بأن يُغفر لأمة محمد –صلوات الله عليه– فضحك الرسول مما فعل، فسأله أصحابه عن سرّ ضحكه في ذلك، فأجابهم مؤكّداً ونافياً استبعاد مثل هذا الخبر.

- «إنَّ نَبِيّاً مِنَ الأنْبِياءِ قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ...» [xlvii]جملة سطحية ←--- (نبيّ قرصته نملة) جملة عميقة

في هذا الحديث استنكار وعتاب من الله تعالى إلى النبي المتأذّي من قرصة نملة، دفعته إلى إحراق قرية نمل عن بكرة أبيها، فأوحى الله إلى ذلكم النبي قائلاً: «أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟»[xlviii]

- «إنَّ الكافِرَ إذا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ»[xlix]جملة سطحية ←---(الكافر كاره لقاء الله...) جملة عميقة

ثمة تبشير من الودود تعالى إلى أولئكم الذين استعدوا للقائه، وأحبّوه، فكان الجزاء من جنس العمل، بأن أحبّ الله لقاءهم كذلك، بالمقابل ثمة تبشير تهكّميّ لأولئك الذين كرهوا لقاء خالقهم، ولم يستعدوا له، بل كانوا يتجاهلونه، فكانت النتيجة المماثلة، بأن ربّ العزة والجبروت قد صرفهم عن محبته، فهم ليسوا أهلاً لها، ولا جديرين باستحقاقها.

المؤكّدات في الجمل السطحية المحولة في السياقات آنفة الذكر هي: دجّالون، عبد، وماء ونار، وعدو الله إبليس، ونبيّ، والكافر، وهي عناصر تركيبية قد أُخبر عنها بأخبار تحتاج إلى تأكيد لها، فلو تأملنا السياقات قبل التحويل في الجمل العميقة المقابلة للجمل السطحية لفُهم منها أن أخبارها ليست حقائق مطلقة في ذهن المتلقّي، فالزعم بالنبوة، ووجود عبد أكثر علماً من موسى النبيّ، وظهور الدجال بخروج الماء والنار في آخر الزمان، وحثي إبليس التراب على رأسه، وأول محاسبة العبد صلاته، وقرص النملة لنبيّ من الأنبياء دفعته إلى حرق قريتها، وكراهية الكافر ملاقاة ربّه، أخبار تدفع بالمتلقي إلى الظنّ بصدقها، والتشكيك فيها، وأن المخاطِب له هدف لرسالته في إيصاله، فجرت عملية التحويل والزيادة بدخول المورفيم (إن)؛ لتأكيد ما ورد في هذه الإخبارات، وتثبيت الدلالات المقصودة التي تتضح من السياقات في الجمل السطحية، وهي: التعليل، والحصر، والتنبيه، واستبعاد غرابة الخبر، والتأكيد على الاستنكار والعتاب، والتهكم والتجاهل.

(ج)التوكيد بالمورفيمَيْنِ (إنّ) و(اللام):

ورد عند أغلب نحاة العربية أن (اللام) تستعمل للدلالة على التوكيد، وهو تحقيق معنى الجملة وإزالة الشك[l]، وإن تعددت تسمياتها[li]، وقابل النحاة والمفسرون بين (اللام) و(الباء) الدالتين على التوكيد، بقول الرماني: « ف(الباء) بإزاء (اللام)، و(ما)

بإزاء (إن)» [lii]. ويرى صاحب البرهان أن «(الباء) في خبر (ما) و(ليس) للدلالة على تأكيد النفي، و(اللام) للدلالة على تأكيد الإيجاب.» [liii] نحو ما جاء في قوله عز وعلا: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [liv] توكيداً على الإثبات، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [lv] توكيداً على النفي. فـ(اللام) تؤكد الجزء الذي تدخل عليه، وتلتصق به، مبتدأً كان أو خبراً [lvi]، فإذا أكدنا واحداً من هذين الجزأين أكدنا مضمون الجملة؛ لأن التوكيد تقوية الإسناد بين الركنين. ويرى الجرجاني [lvii] أنه إذا كان المتلقّي منكِراً لما يقال له؛ فإن الحاجة إلى التوكيد أشدّ؛ لأنّه أحوج إلى الزيادة في تثبيت الخبر. وقد ثبت وجود المورفيمين المؤكدين (إن) و(اللام) في أمثلة كثيرة من الجمل القدسية نأخذ على سبيل التمثيل قوله –صلوات الله عليه–:

- «إنَّ هَذِهِ لَساعَةٌ ما كُنْتَ تَضْحَكُ فيها، فما الذي أَضْحَكَكَ؟» [lviii] جملة سطحية ←--- (هذه ساعة ما تضحك فيها) جملة عميقة

هو مشهد يكشف عن تعجّب الصحابة واستغرابهم من ضحك الرسول –صلى الله عليه وسلم– في وقت لاداعي فيه إلى الضحك، ولا من عادة النبيّ أن يضحك إلا لمناسبة.

- ومنه قوله –عليه الصلاة والسلام–: «إنَّ السِّقْطَ لَيُراغِمُ [lix] رَبَّهُ إذا أَدْخَلَ أَبَوَيْهِ النّار...» [lx] جملة سطحية--- ← (السقط يراغم ربّه) جملة عميقة

وهو في باب من جاء فيمن أصيب بسقط، فيقال له: «أَيُّها السَّقْطُ المراغِمُ رَبَّهُ أَدْخل أَبَوَيْكَ الجَنَّةَ، فَيَجُرُّهُما بِسَرَرِهِ حَتّى يُدْخِلَهُما الجَنَّةَ» [lxi]

- ومنه قوله –عليه الصلاة والسلام–: «إنَّ اللهَ لَيَسْأَلُ العَبْدَ يَوْمَ القِيامَةِ حَتّى يَقول: ما مَنَعَكَ إذا رَأَيْتَ المنْكَرَ أنْ تُنْكِرَهُ؟» [lxii] جملة سطحية ←---جملة عميقة

وفيه محاسبة الله عبده بتوجيه السؤال منه عزّ وجلّ إلى العبد من غير وسائط، عن الامتناع عن إنكار المنكر في الدنيا، ليردّ العبد في قوله: «ياربّ، رَجَوْتُكَ وَفَرَقْتُ الناس–أي خفت الناس» [lxiii]

- ومثاله قوله –عليه السلام–: «إنّي لأَرْجو أَنْ تَكونوا (أي أمّة محمد عليه السلام) رُبعَ أَهْلِ الجَنَّةِ... ثُلثَ أَهْلِ الجَنَّةِ...شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» [lxiv] «نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» [lxv] جملة سطحية ←---(أرجو كونكم ربع أو ثلث أو نصف أهل الجنة) جملة عميقة

وهو كلام يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج من ذريتك بَعْثاً إلى النار؛ أي واحد من كلّ ألف، أو تسعمائة وتسعة وتسعين، فرجا الرسول محمد –صلوات الله عليه– أن تكون أمته ربع أهل الجنة أو ثلثها أو شطرها أو نصفها.

- ومنه قوله: «إنّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النّارِ خُروجاً مِنْها، وآخِرَ أَهْلِ الجَنّةِ دُخولاً الجَنَّة...» [lxvi] جملة سطحية--- ← (أنا أعلم...) جملة عميقة

وهو حديث عن علم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بآخر أهل النار خروجاً، وآخر أهل الجنة دخولاً.

لقد ساق المورفيمان المؤكدان (إن) و(اللام) الجمل السطحية بعد عملية التحويل إلى دلالات مختلفة عن تلك الدلالة الخبرية في جملها العميقة، فالتعجب في الحديث الأول بدا جليّاً من ضحك الرسول –صلى الله عليه وسلّم– في ساعة ليست ساعة ضحك، ودلالة التوبيخ ملموسة من مراغمة السقط ربّه في الحديث الثاني، ثم ارتسمت دلالة التقرير في توجيه السؤال المباشر من الخالق لعبده، عن عدم منع المنكر وقت رؤيته في الحديث الثالث، أما دلالة الرجاء فاتّضحت من تمني محمد –صلى الله عليه وسلم– بأن تكون أمته ربع أهل الجنة أو ثلثها أو نصفها مقابل جميع أمم الأنبياء التي سبقته في الحديث الرابع، ويفصح الحديث الخامس عن معرفته صلى الله عليه وسلم بآخر أهل النار خروجاً، وآخر أهل الجنة دخولاً دلالة على التيقن مما يعلمه.

وقد حملت الرسائل أو الإخبارات تلكم في طياتها خطْباً جليلاً، وكانت أعظم من أن يصدّقه المتلقي، فعومل معاملة المنكر لها، وأنه لن يصدق رسالة المرسِل بل سينكرها، ويكفر بفحواها، وإذا أُدخل مورفيم التوكيد (إنّ) فحسب فلن تأتي الرسالة أُكلها إيتاءً بيّناً، ولن يوصل المخاطِب هدف خطابه، وسيبقى المتلقي في شكّ وإنكار؛ لذا قام المخاطِب بإدخال المورفيم المؤكِّد الآخر وهو (اللام) بالإضافة إلى (إن)؛ ليقطع ما يحيك في صدر المتلقّي من ظنون، ويحقق الغرض الدلاليّ من رسالته، سواء أكانت هذه الرسالة تفيد التعجب أو الرجاء أو التفضيل ... وغيرها من الأغراض المقصودة التي تبينت؛ لو جاءت على وضعيتها الأولى قبل عمليتي الزيادة والتحويل في حالتها الخبرية التي كانت على حالها في الجمل العميقة

(د) التوكيد بالمورفيم (أنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

يعدّ المورفيم (أنّ) شكلاً آخر من أشكال المورفيم (إنّ)، له مواقعه الخاصّة في السياق، كما لـ(أنّ) مواقعه كذلك، وكلاهما يحولان الجملة من وظيفتها الإخبارية إلى وظيفتها التأكيدية؛ لإزالة الشكّ أو الإنكار، أو إثبات حقيقة، أو تأكيد مقولة. ومن بعض تجلياتها في السياقات اتصالها بأفعال العلم والظنّ، واتصالها بالسياق الشرطيّ، والسياق الاستفهاميّ، ومنها قوله–صلى الله عليه وسلم–:

- «عَبْدي أَذْنَبَ ذَنْباً، فَعلِمَ أنّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ...اعْمَلْ ما شِئْتَ، فَقَد غفَرْتُ لكَ.» [lxvii] جملة سطحية ←--- (علم العبد له ربّاً) جملة عميقة

إنه الإقرار بالذنب، والعلم بالرب الغفور، فهما عملان جزاؤهما المغفرة، في ظل تكرر الذنب أو المعصية، فكلما عاد الرجل إلى الاعتراف بما اقترفت يداه، وعاد إلى مولاه، فإنه يجد الله في كلّ مرة قد غفر له.

- ومنه قوله –عليه السلام–: «أفظننتَ أنكَ مُلاقِيَّ؟» [lxviii] جملة سطحية ←--- (أنت ملاقيّ) جملة عميقة

إنه مشهد يكشف عن لقاء العبد ربّه يوم القيامة، فيسأله رب العزة: ألم أكرمك، وأسوّدك، وأزوجك وأسخّر لك الخيل والإبل ...؟ فيعترف العبد بذلك، ويقرّ. ثم يتوجه له بالسؤال مرة أخرى يسأله عن ظنّه بملاقاة ربه يوم الدين، ليعترف العبد المنكر ويقول: لا؛ لذا يردّ عليه بأنه ينساه اليوم كما نسيه في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل، لم يجعل المنكر لله قدراً وشأناً ومكانة، ومن ثم فللجاحد المنكر مثلما فعل.

- ومنه قوله: « لَوْ أَنَّهُم (أي: أهل الذكر) رَأَوها (أي: الجَنَّة) كانوا أشَدّ عَلَيْها حِرْصاً...» [lxix] جملة سطحية ←--- (لو رأوها فهم أشد عليها حرصاً) جملة عميقة

هو حديث يفصح عن حوار بين الله تعالى وملائكته، وفيه يطمئن الله تعالى على عباده وأحوالهم من سؤال ملائكته السّيّارة المتعاقبة بين الليل والنهار، فيصفون أهل الذكر بأنهم يسبّحون الله ويحمدونه ويمجّدونه، ويسألونه الجنة، ويتعوّذون من جهنّم، وفي كلّ إجابة يسألهم العزيز تعالى: هل رأوني؟ هل رأوا الجنة؟ هل رأوا النار؟ وهو أعرف بأحوالهم، فيجيبون بالنفي، ثم يقول جلّ علاه: فكيف لو رأوني؟ وكيف لو رأوها؟ وهكذا... فتقول الملائكة: لكانوا أشدّ لك عبادة وذكراً...

إننا لو قارنا بين البنية العميقة المحوّلة للجملة (علم العبد له ربّاً) في الحديث الأول وبين جملتها السطحية وهي: (فعلِمَ أنّ له ربّاً يغفر الذنب...)؛ سنجد أن العلم فعل حسيّ يقينيّ، والخبر عنه وجود ربّ متصف بالمغفرة، وهذا أمر حقيقيّ لا ريب فيه، فالله يغفر ذنب عبده كلما آب إليه واستغفره، كما نجد أنّ: المورفيم (أنّ) باتصاله بفعل (العلم) قد ربط ما قبله بما بعده؛ ليأتلف التركيب ويصبح في سبك واحد، فيحقق المطلوب وهو إبعاد الظّن عن ذهن المتلقي، فهو مورفيم دلاليّ، جاء ليؤكّد حقيقة، ويثبتها في ذهن المتلقي؛ لإفادة التشويق والترغيب.

وإن جملة: (أفظننتَ أنكَ مُلاقِيَّ؟) في الحديث الثاني هي جملة محوّلة تصدّرت بحرف استفهام، تلاه حدث يفيد الظنّ، ومن ثمّ الإخبار عن ملاقاة الله عزّ وعلا، فالفعل (ظننت) يعبّر عن حدث لم يكن يتوقّعه المتلقي، ومورفيم الاستفهام جاء يطلب التصديق لهذا الظنّ، فربط المورفيم (أن) الاستفهام وفعل الظن بما بعده في سياق أفاد التقريع من الرب للعبد، والتقرير من العبد بأن ما يحدث له يوم القيامة يسير على خلاف ما توقع.

وفي حديث السياق الشرطي في الماضي: (لو أنهم رأوها –الجنة– لكانوا أشدّ عليها حرصاً...) أفاد المورفيم (لو) القطع بانتفائه لانتفاء جوابه أو جزائه؛ فانتفاء رؤيتهم للجنة انتفى حرصهم عليها، والرؤيا هنا ليست الرؤية الحقيقية، إنما الرؤية اليقينية أو القلبية، ولكي لا يكون ثمة مجالاً للشكّ في الانتفائين برزت (أن) و(اللام) للتوكيد؛ أي لإبعاد الإنكار من ذهن المتلقي، وإنزال الخبر منزلة اليقين.

هـ) التوكيد بالمورفيم (كأنّ) الداخل على الاسم الظاهر:

أصل الورفيم (كأنّ) عند علماء العربية[lxx]: (أنّ) أدخل عليها (كاف) التشبيه، والأصل في هذه (الكاف) أن تكون مؤخرة؛ أي متصلة بالخبر، ورأوا أن (كأنّ) يفيد التشبيه والتوكيد والجحد والتمني والظن والتقريب[lxxi]، يدخل على الجملة الاسمية بحيث يربط بين جملتين سابقة لها ولاحقة بها؛ لإجراء الهدف من رسالة المخاطِب. فإن جاء للتشبيه فهو يربط بين المشبه والمشبه به للتأكيد على أن ذاك يشبه هذا، فإذا حذف المورفيم (كأنّ) من الجملة أضحت جملة خبرية تبين حقيقة ما للمتلقي الذي أنزل منزلة المتيقن منها.

ومن الأمثلة الشاهدة على هذا التركيب قوله –صلوات الله وسلامه عليه–:

- «فيُحْشَرونَ إلى النّارِ[lxxii]، كَأَنَّها سَرابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً»[lxxiii] جملة سطحية ←---(النار سراب) جملة عميقة
- وقوله: «يُؤْتى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّها سَرابٌ»[lxxiv] جملة سطحية ←---(جهنم سراب) جملة عميقة

- وقوله: «فَيَخْرُجونَ كَأَنَّهُم اللُّؤْلُؤُ[lxxv]»[lxxvi] جملة سطحية ←--- (هم اللؤلؤ) جملة عميقة

لو أنعمنا النظر في الجمل آنفة الذكر قبل عملية التحويل وبعدها؛ أي قبل دخول (كأنّ)؛ سنلحظ أن المورفيم (كأنّ) له وقع خاص في الجمل السطحية، وهو التأكيد بعد التشبيه لذلك المتلقي الذي عومل معاملة الشاكّ من صحة الخبر، فأوتيت له المؤكدات؛ لصرف الشكّ عنه.

ذلك أن الإخبار عن جهنم أو النار – التي يحشر بها الخلق يوم المحشر– في الحديث الأول والثاني وتشبيهها بسراب قد دفع المخاطِب لاستخدام أسلوب الإخبار بأكثر من مؤكد: المورفيم(أنّ)، ومورفيم (كاف التشبيه)، ومورفيم ضمير الشأن (ها) المحولة عن هي؛ ليطلق للمتلقي حرية التصور إلى تصورها على الشاكلة المقصودة؛ فهي ك (سراب) يُرى لكنه ليس حقيقياً، إنها صورة مضللة يبدو معها هذا التشبيه لجهنم تخويفاً من شدة حرّها، وترهيباً من نارها حتى بدت سراباً كالطريق أو الفلاة أو الشارع وقت القيظ، فأراد المرسِل أن يؤكد دلالة التشبيه ليدفع عن ذهن المتلقي شكّه في تيك الحقيقة.

أما التصوير الثالث فقد جاء للإخبار عن المؤمنين الذين شبهوا باللؤلؤ في البياض والنقاء والجمال والإبهار، وهو تصوير يكشف عن منظر بديع، وجه الشبه بين أولئكم والحجر النفيس، خبر يحتاج إلى تأكيد، فدخل المورفيمان (أنّ) و(هم)، ثم ما كان من الرسالة إلا أن تستخدم مورفيم التشبيه (الكاف)؛ لتضفي أَلَقاً آخر على الخبر المؤكد في قولها: كأنهم اللؤلؤ للتأكيد على المضمون.

و) التوكيد بالمورفيم (لكنّ) الداخلة على الاسم:

يرى ابن يعيش أن «(لكنّ) المشددة و(لكن) الخفيفة[lxxvii] سيان في الاستدراك، وأن ما بعدهما يكون مخالفاً لما قبلهما، فالخفيفة يوجب بها بعد نفي، وليس كذلك بالمشددة، فإنها تدخل على جملة تصرفها إلى الاستثناء، ولشبهها بالخفيفة لا يكون ما بعدها إلا مخالفاً لما قبلها، مغايراً له، وتقع بعد النفي والإثبات، فإن كان ما قبلها موجباً كان ما بعدها منفياً، وإن كان ما قبلها منفياً كان ما بعدها موجباً؛ لأن ما بعدها كلام مُستغن، فمعناه يُنبئ عن المغايرة، ولا حاجة إلى الأداة النافية، بل إن كان حسن، وإلا فلا ضرورة إليه[lxxviii].»

ومن السياقات القدسية التي دخل فيها المورفيم (لكنّ) على الاسم:

الحديث: أول ما يُقضى عليه يوم القيامة ثلاثة: شهيد، وعالم، ومتصدّق، فيسألهم ربّ العزّة عن أعمالهم، فيقول الأول: «قاتَلْتُ فيكَ حتّى اسْتُشْهِدتُ»[lxxix] ، ويقول الثاني: «تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمْتُهُ»[lxxx]، ويجيب ثالثهما:«ما تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لَكَ»[lxxxi]، فيردّ عليهم مولانا عزّ وجلّ زعمهم بالأقوال الآتية:

- «...كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ قاتَلْتَ لِأَنْ يُقالُ: جَريء»[lxxxii] جملة سطحية ←--- (أنتَ قاتلتَ لأن يقال جريء) جملة عميقة

- ومثله قوله:«...كَذَبْتَ، ولَكِنّكَ تَعَلّمْتَ العِلْمَ؛ لِيُقالَ: عالِمٌ...» [lxxxiii] جملة سطحية ←---(أنتَ تعلّمتَ ليقال عالم) جملة عميقة
- ومنه قوله –عليه السلام-: «... كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هُوَ جَواد» [lxxxiv] جملة سطحية--- ← (أنتَ فعلتَ [أي: أنفقت] ليقال هو جواد) جملة عميقة
- وقوله: «كُلُّنا نَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: لَيْسَ كَذلِكَ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا بُشّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ ورِضْوانِهِ وَجَنَّتُهُ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ» [lxxxv] جملة سطحية←--- (كلنا نكره الموت، والمؤمنَ إذا بُشّر... أحبّ) جملة عميقة
- وقوله: «...وَتَرى النّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديد » [lxxxvi] جملة سطحية-- ← (ترى الناس سكارى، وعذابَ الله شديد) جملة عميقة

إن دخول المورفيم (لكنّ) على الجمل السابقة قد حوّل التركيب من البنى العميقة إلى البنى السطحية؛ ليربط ما قبلها بما بعدها، ويثبت دلالة الأخبار التي قصدها الخطاب، وهي: القتال، والعلم، والإنفاق في سياقات احتيجت إلى المورفيم (لكنّ) الذي جعل من الخبر ما بعده يغاير ما قبله ويناقضه، فأُنزل المتلقي منزل الشاكّ في تلقي الحقيقة الخبرية؛ وجاء (لكنّ) ليظهر الحقيقة للعيان، ويكشفه، فيزيل الشك، ويضع الخبر موضع اليقين. فإذا وقفنا على الجملة: (أنت قاتلت..) مثلاً، فسنجدها جملة خبرية اعتيادية، أفادت معلومة للمتلقي بأنّ فلاناً شهيداً يقاتل في سبيل الله، بينما عند دخول (لكنّ) عليها وقع الإثبات على القتل بطريقة ليست كما وقعت في ذهن المتلقي، بل بحقيقة مغايرة، فهو قد كذب في قتاله، فلم يقاتل دفاعاً عن الإسلام أو صدّاً للعدوّ في سبيل الله، بل قاتل من أجل أن يذيع صيته بين الناس بأنه شجاع، وهذه الحقيقة يؤكدها المخاطِب بوجود (لكنّ)، وهنا تبرز المفارقة. ونحوها في الجمل المتقابلة قبل عملية التحويل وبعدها، فثمة فرق بين (أنت تعلمتَ العلم فأنت عالم)، و(كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم) ، فالأولى أعطت حقيقة خبرية، أما الثانية نفت لتعطي حقيقة مغايرة. ونحوها في المثال الذي يليه: (أنت أنفقت فأنت جواد)، و(كذبت، ولكن أنفقت فأنت جواد).

إذ تنكشف الحقيقة المغايرة كذلكم في السياقين السابقين، الأول منهما: الأول منهما:«كُلُّنا نَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: لَيْسَ كَذلِكَ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا بُشّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ ورِضْوانِهِ وَجَنَّتُهُ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ»، والثاني: «...وَتَرى النّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديد». من حيث إن كراهية الموت يجمع عليها البشريؤكد ذلك لفظة (كلنا)، ففي الجملة خبر حقّ لا ريب فيه، ثم يكمل السياق لتلكم الحقيقة بالمورفيم (لكن)؛ ليعطي عكسها، وهي حبّ الإنسان المؤمن للقاء الله، ولا يتم لقاء الأحبة إلا بمآب الروح إلى بارئها، فالله تعالى قد بشّره برحمة ورضوان وجنة، فاستثنى المؤمنين من خبر كراهية الموت إلى حبّ لقاء الله.

أما المفارقة الثانية فتتضح في قوله–عليه الصلاة والسلام- بالجمل العميقة: (الناس سكارى، وما هم بسكارى، وعذاب الله شديد) فهي جمل إخبارية، تفيد الأولى منها إثبات حال الخلق يوم القيامة بأنهم سُكارى، في حين تنفي الثانية خبر الأولى عنهم الذي يحتاج إلى معنى ثالث يربط بين تناقضهما، ويسوغ تقابلهما، إذ عجزت الجملة عن فعل ذلك مع ما تلاها من جملة ثالثة، حين كانت على حالتها الإخبارية أي بحال جملة عميقة، فهي لم تعطِ إلا خبراً بشدّة عذاب الله، بينما قدمت في

حالتها السطحية؛ أي بدخول المورفيم (لكن)، ربطاً دقيقاً للجمل الثلاثة، لتعطي مفهوماً تأكيدياً أحال الناس ساعتها بالشعور بالسكر رغم أنهم ليسوا كذلك بسبب عذاب الله تعالى.

ثانياً: التوكيد بالقصر

عدّ نحاة العربية[lxxxvii]دخول (ما) مع (إن) من أساليب القصر، ورأوا أن مجيء (ما) أو (لا) مع (إلا) أسلوب استثناء مفرّغ، في حين عدهما البلاغيون[lxxxviii]من أساليب القصر، وهو من أبواب علم المعاني، ورأوا أن القصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[lxxxix]، وللقصر قسيمان: القسيم الأول وهو المقصور، وقسيمه الثاني المقصور عليه، فيقصر الموصوف على الصفة، أو تقصر الصفة على الموصوف، وللقصر طرائق أشهرها: «يأتي في باب الاستثناء عند الكلام عن الاستثناء المفرّغ في نحو قوله تعالى: ﴿**مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾[xc] وقوله جلّ جلاله:﴿**إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**﴾[xci]، ذلك أحد وجهي القصر، وإحدى طرائقه، أما الوجه الآخر الذي يأتي في باب (إن) إذا دخلت عليها (ما) التي يزعمون أنها تكفها عن العمل، فيكون الكلام إما قصر صفة على موصوف، أو قصر موصوف على صفة، مثل قوله تعالى[xcii]: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾»[xciii].

وقد ماز صاحب الإعجاز بين أسلوبي القصر بـ(ما وإلا)، وبـ(إنما) في عبارته القائلة: «أما الخبر بالنفي والإثبات، نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يشكّ فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ**﴾[xciv] إنما جاء –والله أعلم– بالنفي والإثبات؛ لأنه لما قال تعالى: وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مّن فِي الْقُبُورِ، وكان المعنى في ذلك أن يُقال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: أنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الآباء، ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم مع إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصدهم بأسماعهم عما تقول لهم، وتتلوه عليهم، كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبي –صلى الله عليه وسلم– حال من قد ظنّ أنه يملك ذلك، ومن لا يعلمه يقيناً أنه ليس في وسعه شيء أكثر من أن ينذر، ويحذر، فأخرج اللفظ مخرجه، إذ كان الخطاب مع من يشكّ، فقيل: إِنْ أَنتَ إِلاّ نَذِيرٌ»[xcv]. وأكمل قائلاً: «اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر ما لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك: أنك تقول للرجل إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقربه، إلا أنك تريد أن تنبه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، ومثاله في التنزيل: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا**﴾[xcvi]، كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم، وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له، وكذلك معلوم أن الإنذار إنما يكون إنذاراً، ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله، فأما الكافر والجاهل فالإنذار وترك الإنذار معه واحد»[xcvii]. والمخاطب بأسلوب القصر لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة؛ إما أن يكون معتقِداً عكس رأي ما، أو شاكّاً فيه، والحالة الثالثة أن يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر في هذا الحكم. [xcviii]

بناء عليه؛ فإن أسلوب القصر من أساليب التوكيد في الجملة التي تحمل عدّة معان تستشف من هدف الخطاب في الجمل الاسمية، نفصلها في الآتي:

(أ) **القصر بالمورفيم (إنّما)**:

ذهب السكاكي[xcix] إلى أن هذا الحرف يتكون من (إنّ) و (ما). أما (إنّ) فلتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة؛ حيث ناسب أن يُضمّن معنى القصر؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد. إذ يرى الخطيب القزويني[c] أنها تفيد القصر كونها متضمّنة معنى ما وإلا، لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**﴾[ci] معناه: ما حرّم عليكم إلا الميتة... ولقول النحاة: إنما لإثبات ما يُذكر بعدها، ونفي ما سواها[cii]، وجاء في مغنى اللبيب ما يعضد ذلك ونصّه: «إنما هي لتوكيد الكلام إثباتاً كان أو نفياً»[ciii]، ويرى البلاغيون أن القصر بإنما تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة[civ]. على أن المورفيم (إنما) يفيد التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بـ(إن) وحدها؛ لأنه «غالباً ما يكون في سياق فيه إنكار وجحد، فيحتاج إلى درجة عالية من توكيد الخبر»[cv]

ومن السياقات القدسية التي وردت فيها (إنما) دالة على القصر،مقدمة وظيفة التأكيد قوله –صلى الله عليه وسلم-:

- « يا عِبادي، إنّما هيَ أعْمالُكُم أُحْصيها لَكُم، ثُمَّ أُوْفيكُم إيّاها، فمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلِيَحْمِدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلك فَلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَه»[cvi] جملة سطحية ←---(هي أعمالكم...) جملة عميقة
- وقوله: «لو أنَّ أَوَّلَكُم وآخِرَكُم، وحَيَّكُم ومَيِّتَكُم، ورَطَبَكُم ويابِسَكُم اجتَمَعوا في صَعيدٍ واحِدٍ، فسَأَلَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْكُم ما بَلَغَتْ أُمنِيّتُهُ، فَأَعطَيْتُ كُلَّ سائِلٍ منكم ما سَأَلَ، ما نَقَصَ ذلكَ منْ مُلْكي، إلا كما لو أنَّ أحَدَكم مَرَّ بالبحْرِ، فَغَمَسَ فيهِ إبْرةً، ثمّ رَفَعَها إلَيْهِ، ذلكَ بِأنّي جَوادٌ ماجدٌ، أفعَلُ ما أُريدُ، عَطائي كَلامٌ، وعَذابي كَلامٌ، إنّما أَمْري إذا أَرَدْتُهُ أنْ أقولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكون»[cvii]. جملة سطحية ←---(أمري إذا أردته...) جملة عميقة

إن دخول المورفيم (إنما) على الجمل العميقة، وظهورها في البنيات السطحية الآتية: (إنّما هيَ أعْمالُكُم أُحْصيها لَكُم)، و(إنّما أَمْري إذا أَرَدْتُهُ أنْ أقولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكون) جاء ليسبك عناصر الكلام، ويربط ما قبله بما بعده، ويظهر الدور الدلالي في إخراجها مخرج الظاهر المعلوم الذي لا يُنكَر ولا يُخفى، فالأعمال أعمالنا، والأمر الصادر من المولى إرادته النافذة، هما خبران لا يجهلهما المتلقي، ولا يحتاج فيها لإعلام، بحال البنيتين اللسانيتين العميقتين: (هي أعمالكم)، و(أمري إذا أردته)، أي قبل عملية التحويل ودخول (إنما) عليهما.

لقد أفاد التركيب في الجملة السطحية (إنما هي أعمالكم) الحصر، كأن نقول: (ما هي إلا أعمالكم)؛ أي: ما الأعمال التي تقومون بها إلا أعمالكم، محصورة عليكم، يحصيها الله تعالى لكم، وهذا أمر معروف في ذهن المخاطبين، لا ينكرونه، من حيث إن الجملة العميقة:(هي أعمالكم) هي حقيقة ثابتة يعلمها الجميع، لكنهم أَلِفوا أعمالهم، حتى غدت موضع العادة أو الطبع، لذا احتاجوا إلى التنبيه على أن هذه الأعمال سواء أكانت خيراً أم شراً من صنيعكم، واحتاجوا إلى التذكير؛ حتى يجعلوها في ميزان حسابهم، ويراقبوها، ويهذبوها؛ إذ ثمة من يحصيها لهم، ثم يوفيهم إياها.

في حين أفاد التركيب في الجملة السطحية الثانية:(ما أمري إلا إذا أردته) التعريض وردّ الشيء إلى حقيقته، فالأمر إرادة الله عزّ وعلا، وما عداه ليس شيئاً، كما جاء في السياق القرآني: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[cviii]، يقول الجرجاني في ذلكم: «ليس الغرض من قوله تعالى أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار، وأن يقال أنهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل. فإذا أسقطت من الآية (إنما) فقيل: يتذكر أولو الألباب، كان مجرد وصف لأولي الألباب، بأنهم يتذكرون، ولم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم، فالتعريض وقع بمدح إنسان بالتيقظ، وبأنه فعل ما فعل، وتنبه لما تنبه لعقله، ولحسن تميزه كما يقال: كذلك يفعل، وهكذا يفعل الكريم»[cix]. وقياساً على ذا يمكن القول في: (إنما أمري إذا أردته)؛ فهو من قبيل التعريض، إذ إنّ الله تعالى يريد أن يرجع الأمر كله عطاء وعذاباً إلى إرادته النافذة المهيمنة، مقابل ما بيد الناس من عطاء وعذاب، وكأنهما مقيدان أمام عطاء الله أو عذابه النافذيْن، فالعطاء والعذاب إنما هما إرادة الله بكلمة منه، إنه بهذا التركيب السطحي ينزل المتلقي منزلة الجاحد المنكر لتلكم الحقيقة، وذلك باستخدام أسلوب القصر بـ(إنما): الجملة العميقة: (أمري إذا أردته) من غير (إنما) لا يُرجى معها المقصود من الخطاب.

(ب) القصر بالمورفيم (إلا) مع المورفيم (ما) أو المورفيم (لا):

عدّ علماء اللغة –نحاة وبلاغيون– النفي بالمورفيمين (ما) أو بـ(لا) مع مورفيم الاستثناء (إلا) من صور القصر، بل أكثر أساليب القصر شيوعاً واستعمالاً، ولا يكون هذا التركيب الجُمَليّ إلا في الاستثناء المفرّغ، ولا يمكن وقوعه في الموجب من الكلام[cx]، وسبق أن بيّنا أنّ القصر من الأساليب الدالة على توكيد مضمون الرسالة المراد إيصالها إلى ذهن المتكلم.

إذ يرى سيبويه أن «الوجه الذي كون فيه الاسم بمنزلته قَبْل أن تُلحق (إلا) هو أن تُدخل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه»[cxi]، وهو بذلك يشير إلى أن المورفيم (إلا) أفاد حصر ما بعد (ما) أو (لا)، ونفى أي صفة أخرى تتعلق به، وقد صرّح الزركشي بهذا الأمر بقوله: «معنى (إلا) اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره»[cxii]، وعلى ذلك أُطلق على المورفيم (إلا) في الاستثناء المفرغ أداة حصر؛ لأنه يحصر به حكم ما قبله في ما بعده[cxiii].

ومن السياقات القدسية التي ذكرت فيها هذا النوع من القصر قوله –صلى الله عليه وسلم–:

- وقوله: «ما مِن حاكمٍ يَحْكُمُ بيْنَ الناسِ إلا جاءَ يوْمَ القِيامَةِ، ومَلِكٌ آخِذٌ بقفاهُ، ثمَّ يَرْفَعٌ رَأسَهُ إلى السّماءِ، فإن قالَ: أَلْقِهِ، أَلْقاهُ في مَهْواةٍ أربعينَ خَريفاً. »[cxiv] جملة سطحية ←--- (حاكم يحكم... جاء يوم القيامة) جملة عميقة
- ومثله: «ما لِعَبْدي المؤْمِنِ عنْدي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنيا، ثُمَّ اِحْتَسَبَهُ، إلا الجَنَّةُ»[cxv] جملة سطحية– --← (لعبدي المؤمن... الجنة) جملة عميقة
- ومنه قوله: «اِعْمَلوا وأبْشِروا، فَوَالذي نَفْسُ محمّدٍ بِيَدِهِ ما أنْتُم في النّاسِ إلا كّالشّامّةِ في جَنْبِ البَعيرِ أو كَالرَّقْمَةِ[cxvi]في ذراعِ الدّابّةِ»[cxvii] جملة سطحية ←--- (أنتم كالشامة...) جملة عميقة
- «...فادْعوا، وما دُعاءُ الكافِرينَ إلا في ضَلالٍ...» [cxviii]جملة سطحية ←--- (دعاء الكافرين في ضلال) جملة عميقة

إن دخول مورفيم النفي (ما) أو (لا) مع مورفيم الاستثناء (إلا) على التركيب العميق حصر الأخبار في المبتدآت، وخصّها عن غيرها من الأخبار؛ للتأكيد عليها للمتلقي الذي أنزل منزلة المنكر للخطاب، فالمجيء الوارد في الحديث الأول أمر محتوم آكد لكل حاكم كان يحكم بين الناس في الدنيا؛ إذ يلقى ما يلقى يوم القيامة، دون أن يحلّ أحد مكانه، وربما يسعف الجملة قبل الزيادة والتحويل: (الحاكم جاءٍ يوم القيامة...) أن تقدم وظيفة الإخبار، لكنها بلا ريب تؤدي في الحصر والاختصاص دلالة الرسالة بمراد آخر هو أبعد عمقاً وأكثر إبلاغاً، وذلك هو أن لا فعل غير المجيء.

ونرى في الجملة السطحية الثانية: (ما لعبدي المؤمن جزاء إلا الجنة) أنها تنفي كل جزاء للعبد الذي آمن بمعبوده، ليكون استحقاقه الجنة، بل لا شيء غير الجنة، فحصرت الجنة في الجزاء، وكأنه إطلاق لعنان التخيل لما في الجنة من نعيم، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك جزاء للعبد المؤمن، وتشريفاً له، فقد نُسبت صفة العبودية للذات الإلهية تشريفاً وتكريماً لهذا المؤمن، ولو كانت الجملة العميقة: (جزاء عبدي المؤمن الجنة) هي المستخدمة في السياق؛ لكانت جملة خبرية، ليس فيها حصر أو قصر أو اختصاص للخبر، وهو ما لا يبتغيه المرسل.

أما في التعبير القدسي الثالث في الجملة السطحية: (ما أنتم إلا كالشامة...، ما أنتم إلا كالرقمة...) فإن الخطاب فيه يتوجه إلى الحصر والاختصاص، حصر الشامة والرقمة في جنب البعير أو الشاة، ولا شيء غيرهما، فحتى لا يتوجّه التفكير إلى صفة أخرى استخدم المرسل هذا الأسلوب، ولم يقل: (أنتم كالشامة...، وأنتم كالرقمة...)، إن الخطاب لم يأتِ من أجل التشبيه فحسب، إنما جاء للتشبيه والحصر، فإذا قيل: أنتم كال... سيذهب التخيل إلى صفات كثيرة؛ ليشبه أنتم في تلكم، لكن اقتُصِر على الشامة أو الرقمة في التشبيه؛ لبيان أن الشامة شيء لافت للنظر وإن كانت مساحتها قليلة مقارنة بجسم الشاة أو البعير، لكنها واضحة بارزة، وأنتم كذلكم بين الآخرين، وإن كنتم أقلّة.

ويبيّن أسلوب القصر بمورفيم النفي (ما)، ومورفيم الحصر (إلا) في الجملة للحديث الآخر: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أن في الخطاب تبكيتاً وإفحاماً، وتثبيت فكرة، ونفي غيرها في ذهن المصِرّ على ضلاله وخطئه، إذ طُلب منهم أن يدعوا: (ادعوا) كما تشاؤون، وكيفما تريدون، لكن (ما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، فصعقتهم الحقيقة، من حيث إن الخبر المحصور (الضلال) يقابل الدعاء الذي لا فائدة منه، ولا هدي لإنجازه، ولا رشد في إتمامه، ذلكم الدعاء الذي هو مقصدكم في ذاك الوقت العصيب، فهو لم يقل لهم: (دعاء الكافرين ضلال) بالجملة العميقة المجردة من النفي والحصر؛ لأنها جملة خبرية لا تؤدّي الدلالة المستهدفة من وراء الخطاب، إذ ثمة فرق بين أن يقال لهم: (دعاء الكافرين ضلال)، وبين: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، من حيث إن الجملة العميقة لا تحصر المسند في المسند إليه، فقد يتبادر لذهن السامع أن الدعاء مسموع أو مرفوض أو غير مقبول... وغيره من الإخبارات، لكن الجملة السطحية نفت كل خبر قد يتبادر للذهن ساعة استخدام الخطاب كلمة (ضلال) ليكون هو الخبر المناسب للمبتدأ في أسلوب القصر مع المورفيمين (ما و إلا).

وبعد كلّ ذلك؛ فلا عجب أن يستثمر الخطاب القدسي الحواريّ هذا الأسلوب (أسلوب الحصر) بين العبد وربه في إقرار الألوهية له عز وجلّ وحده، وتتمثّل هذه الدلالة في كثير من الأحاديث القدسية، نأخذ على سبيل التمثيل:

- «إذا قالَ العَبْدُ: لا إِلهَ إلا الله، واللهُ أكبَرُ، قال: يقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، وَأنا اللهُ أكبرُ، وإذا قالَ العَبْدُ: لا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا وَحدي، وإذا قالَ: لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، ولا شريكَ لي، وإذا قالَ: لا إِلهَ إلا الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ، و إذا قالَ: لا إِلهَ إلا الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ، قال: صَدَقَ عَبْدي، لا إِلهَ إلا أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي»[cxix]

ونحلله في الآتي:

- قوله: «العبد: لا إِلهَ إلا الله. الرب: لا إِلهَ إلا أنا» جملتان سطحيتان←--- (الإله الله) (الإله أنا) جملتان عميقتان
- وقوله:«العبد: لا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا وَحدي» جملتان سطحيتان←---(الإله الله وحده) (الإله أنا وحدي) جملتان عميقتان
- وكذلك قوله: «العبد: لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا، ولا شريكَ لي» جملتان سطحيتان---←(الإله الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ) (الإله أنا، ولا شريكَ لي) جملتان عميقتان
- وقوله أيضاً: «العبد: لا إِلهَ إلا الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ» جملتان سطحيتان←---(الإله الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ) (الإله أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ) جملتان عميقتان
- وقوله:«العبد: لا إِلهَ إلا الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ. الرب: لا إِلهَ إلا أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي» جملتان سطحيتان←---(الإله الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ) (الإله أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي) جملتان عميقتان

فدخول مورفيم النفي (لا) ومورفيم الاستثناء (إلا) على الجمل السطحية آنفة الذكر أبرز الوظيفة الدلالية المرجوّة من السياقات، وهي التوكيد والإقرار على حقيقة وحدانية الله –عزّ وعلا– فالعبد يقول مؤكداً حقيقة اعتقاده وإيمانه بأن (لا إله إلا الله)، والإقرار يَصْدق هذا التوكيد بالجواب: (صدق عبدي، لا إله إلا أنا)، ونحوه التأكيدات المتوالية بالمورفيمين الدالّيْن على اقتصار المسند على المسند إليه في قول العبد: (لا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ) و(لا إِلهَ إلا الله وَحْدَهُ،لا شريكَ لهُ)، و(لا إِلهَ إلا الله، لهُ المُلْكُ، ولهُ الحمدُ)، و(لا إِلهَ إلا الله، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ) ، فالمورفيم (لا) ينفي أي إله موجود على وجه الخليقة، لكن إقران (إلا) مع النفي يؤدّي إلى دلالة مغايرة تماماً للحقيقة السابقة، وهي أن لا إله موجود باستثناء الله تعالى، والعبارات: وحده، ولا شريك له، ولا حوْلَ ولا قوّة إلا بالله، زادت تأكيداً على تأكيد في قصر صفة الألوهية أو العبودية أو الحمد والملك أو الحول والقوة لهذا الإله وهو الله تعالى. ومن ثمّ نلحظ الإجابات على تلكم التأكيدات بإقرار الحقيقة الآكدة في السياقات القدسية: (لا إِلهَ إلا أنا وَحدي)، و(لا إِلهَ إلا أنا، ولا شريكَ لي)، و(لا إِلهَ إلا أنا، لي المُلْكُ، ولي الحمدُ)، و(لا إِلهَ إلا أنا، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلا بي) بالأسلوب نفسه، باستخدام المورفيمين الدالّيْن على القصر والحصر والتوكيد والإقرار (لا) و(إلا)، فلو جردت السياقات السابقة من المورفيمين (لا) و(إلا) لما كانت تلكم السياقات تؤدّي الدلالة المطلوبة، نحسب أنّ فالجملة

العميقة: (الإله الله) ليس لها تعبير دلالي الجملة السطحية بعد التحويل والزيادة: (لا إله إلا الله)، وأن الجملة العميقة (الإله أنا)، لا تؤدي الدلالة التي تؤديها الجملة السطحية: (لاإله إلا أنا)، فالفرق جليّ.

ثالثاً: التوكيد بالقسم

يقول سيبويه: «اعلم أن القسم توكيد لكلامك»[cxx]، فهو يحول الجملة من خبرية عميقة ذات دلالة يسيرة إلى جملة سطحية تكشف عن دلالة تأكيدية، إنه يجاء به لتوكيد جملة ترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء، يتكون أسلوب القسم من: الجملة المؤكِّدة، وهي جملة القسم والجملة المؤكَّدة[cxxi]، وهي جواب القسم أو المقسم عليه، ويكون فيها في الإيجاب المورفيمان (إن) و(اللام)، وفي النفي المورفيمان (ما) و(لا) [cxxii]، وجملة القسم هذه هي الموضع الذي يقصد توكيدها في الكلام الخبري، علما أن الجملة القسمية تتصل بحروف مع المقسم به، فقد يتصل الباء أوالواو أوالتاء، مثل: بالله، والله، تالله، أو بالفعل نحو: أقسم، أحلف... أو بألفاظ هي نص في القسم: لعمرك، يمين، الحق... [cxxiii]

ومما جاء ذكره في القسم في الأحاديث القدسية دخولاً على الجملة الاسمية في قوله –صلى الله عليه وسلم– في فضل مكانة الصائم عند الله عزّ وجلّ ونصّه:

- «وَالذّي نَفْسي بِيَدِهِ، لَخُلْفَةُ فَمِ الصّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ريحِ المِسْكِ»[cxxiv]جملة سطحية←---(خُلْفَةُ فم الصائم أطيب)جملة عميقة
- وقوله: «فَوَالذّي محمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخَلوفُ فَمِ الصّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ ريحِ المِسْكِ»[cxxv] جملة سطحية ←---(خَلوفُ فم الصائم أطيب) جملة عميقة

في معرض كلامه –صلى الله عليه وسلم– عن بني أسلم وغِفار اللتين ذكرتا في أكثر من حديثه، نحو: «أَسْلَمُ سالَمَها اللهُ، وغِفارُ غَفَرَ الله لها وَأَما إِنّي لمْ أقلْها، لكن قالَها اللهُ –عزَّ وجلّ–»[cxxvi] ونصّه: «فَوَ الذّي نَفْسي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَأَخْيَرَ مِنْهُم» جملة سطحية←---(هم خير) جملة عميقة.

فقد جاء الأقرع بن حابس إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائلاً: «إنما بايَعكَ سُرّاقُ الحجيج مِنْ أسْلَم وغِفار ومُزْيَنَة»[cxxvii]؛ وذلك انتقاصاً من شأنهم، فردّ عليه رسولنا الكريم–صلى الله عليه وسلم– بقوله: «أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ أسْلَم وغِفار ومُزْيَنَة خَيْراً مِنْ بَني تَميمٍ وبَني عامِرٍ وَأَسَد وغَطْفانَ، أَخابوا وخَسِروا؟.. فَوَ الذّي نَفْسي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ لَأَخْيَرَ مِنْهُم»[cxxviii]

ومنه قوله في سؤال عَطاء بن يَسار عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في التوراة، ونصّه: «والله، إِنَّهُ لَمَوْصوفٌ(أي: محمد عليه الصلاة والسلام) في التّوْراةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ في القُرآن: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**... إلى آخر الحديث»[cxxix] جملة سطحية←---(هو موصوف) جملة عميقة.

- ومنه: «والله، للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بِالفَلاة...» [cxxx]جملة سطحية←---(الله أفرح بتوبة عبده...)جملة عميقة

- ومثله: «والذّي نَفْسي بِيَدِهِ، ما بَيْنَ المِصْراعَيْنِ مِنْ مَصارعِ الجَنّةِ، كَما بَيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَر، وَكَما بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرى»[cxxxi] جملة سطحية←---(ما بين المصراعين من مصارع الجنة، كما بين مكة وحِمير...) جملة عميقة

نلحظ مما سبق أن المورفيم القسمي (الواو) قد تفرد بالدخول إلى جملة القسم في العبارات آنفة الذكر، وأن الأسماء المقسمة بها بعد (الواو) هي: لفظ الجلالة (الله)، والذي نفسي بيده- وهو الله عز وجل، والذي نفس محمد بيده- وهو الله- كذلك وهي أسماء يقسم بها تعظيماً لقدر الله ومنزلته، فهو أعظم وأفضل من يُقسم به، إثباتاً لأمر ما أو نفياً لشي ما، وقد أشار الرسول عليه صلوات الله في قسمه إلى الله الذي تكون نفسه أو نفس محمد بيده إشارة إلى الإقرار التام برب النفس التي خلقها، وبيده ناصيتها.

وقد أضاف أسلوب القسم من (الواو) والاسم الذي يليه تأكيداً واضحاً على المعلومة الخبرية التي يريد المرسِل أن يؤديها، فيما لو كانت هذه الجمل خبرية قد أتت على حالتها الأولى قبل عمليتي التحويل و الزيادة، مع العلم أن ثمة مؤكدات أخرى قد دخلت على، مثل (لام) الابتداء، و(إن واللام)، نحو: (لَخُلْفَةُ أو خَلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)، و(إنهم لأخير منهم)، و(إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن)، و(للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفَلاة) فزاد القسم عليها توكيداً على توكيد.

وكأنّ المخاطِب في قسمه قد أنزل المتلقي أو غير المنكر منزلة المنكر فأكد له بأكثر من تأكيد؛ بهدف إيصال الدلالة من وراء الغرض الإخباري، فالصائم الذي امتنع عن الطعام والشراب في دنيا مليئة بالملذات قد استجاب امتثالاً لأمره عزّ وعلا كان لابدّ له من تطمينات تأتي على شكل مؤكدات تدخل على ذلكم الثواب (الجزاء)؛ ولهذا فقد احتيج إلى القسم لتعظيم مكانة الصائم يوم الثواب الأعظم، وثم إن خبر التفضيل (أقوام على أقوام) ساق إلى التأكيد بأسلوب القسم إضافة إلى إن واللام؛ لبيان حقيقة باتت كالشمس واضحة، لا مجال لنكرانها. كما أنّ تأكيد خبر وصف النبي محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة ببعض صفاته في القرآن جاء أسلوب القسم إضافة إلى اللام، ذلك أن نزول التوراة كان قبل آلاف السنين من نزول القرآن، ومن المعروف أن نصوص التوراة قد دخلها التحريف في غير موضع، فلم لا تُحرف صفات النبي المذكورة فيه؛ لذا وجب التأكيد بأكثر من مؤكد، لا سيما القسم؛ حتى لا يدع أدنى شك في نفس المخاطِب بأن الكتابين وصفا النبي صلى الله عليه وسلم بصفات مماثلة، بل ما جاء في التوراة كان بعضاً مما نزل في القرآن.

وأن الخبر الواقع عليه القسم في جملة: (للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفَلاة)، جاء تأكيداً من المخاطِب على الفرح بتوبة المتلقي، وترغيباً له بأن التوبة ما هي إلا قمة الإقرار بعبوديته لله، واعترافه بأنه بيده الغفران وحده، وعودة الضال إلى هاديه، وأوبة العاصي إلى من عصاه، وهو دليل على فرحة الخالق بتوبة مخلوقه كما مثله أسلوب التشبيه بفرحة عودة دابة أحدنا أو ضالتنا بعد التيقن من ضياعها وعدم رجوعها.

وعليه؛ فإننا نقول: إن دخول المورفيمات سابقة الذكر على الجملة الاسمية في الأحاديث القدسية قد قدمت وظيفة دلالية مقصودة، سعى إليها المرسل سعياً من أجل تقديم دلالة إعجازية، تعجز الجمل العميقة أن تقدمها من غير تلك المورفيمات.

[i] – لمزيد من التفاصيل حول المآخذ التي سجلتها المدرسة التوليدية على منهج المدرسة الوصفية البنيوية ينظر:

أبو عاصي، حمدان رضوان، **التطورات المنهجية والنظرية للنظرية التوليدية في نصف قرن**، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد4، العدد3، 2007م ، 128

[ii] – Chomsky Noam, **Studies on Semantic in Generative Grammar**, The Hague Mouton 1972

[iii] – ينظر: باقر؛ مرتضى جواد، **مقدمة في نظرية القواعد التوليدية** ط1، دار الشروق، 2002م. 57

[iv] – Chomsky Noam**, Cartesian linguistic**, New York and London Harper and Row, seuil: 1969.p.62

[v] – Chomsky Noam, **Cartesian linguistic**, p.62

[vi] – الحناش ، محمد، البنيوية في اللسانيات (الحلقة الأولى) ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1401هـ - 1980م .88. ينظر: سميح، أبو مغلي، **في فقه اللغة وقضايا العربية**، دار مجدلاوي،عمان، 1987،.81.

[vii] – ينظر: **في فقه اللغة وقضايا العربية**، 78.

[viii] – ينظر: ماريو باي ، **أسس علم اللغة** ، تر : د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط8 ، 1419هـ - 1998م، 53 وما بعدها.

[ix] – ينظر: **في فقه اللغة**، 81.

[x] – ينظر: **في فقه اللغة**:78.

[xi] – أيوب؛ عبد الرحمن، وعمر؛ أحمد مختار، محاضرات في اللغة، **مجلة القاهرة**، بغداد،ع14 آب، 1968، 67.

[xii] – ينظر: الوعر، مازن، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**،دار طلاس، سورية، 1988م.364. عون ، نسيم، **الألسنية**، محاضرات في علم الدلالة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 2005م .(الهامش)،129. لانسون، ماييه، منهج البحث في الأدب واللغة، نقله الى العربية محمد مندور، دار العلم للملايين، 1946م، اهداءات أسرة د.عبدالرحمن بدوي، 2002م.68. ومطلوب؛ أحمد، مصطلح اللسانيات، **مجلة لغة الضاد**، منشورات المجمع العلمي ، 1999، 110/2.

[xiii] – ينظر : خليل، حلمي، **العربية وعلم اللغة البنيوي**، " دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث" ،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، 2000م، 127وما بعدها.

[xiv] – ابن عقيل(ت769هـ)؛ بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بغداد، ط14، 1986م، 190/2

[xv] – ينظر: القزويني (ت739هـ)؛ الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن،**الإيضاح في علوم البلاغة**، المعاني والبيان والبديع،دار الكتب العلمية، ط1، 1980م، 92-93. المخزومي؛ مهدي، **في النحو العربي–نقد وتوجيه**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1964م، 234. وعباس؛ فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها– علم المعاني**– دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط7، 2000م، 115

[xvi] – ينظر:ابن عقيا، **شرح ابن عقيل**، 214/2 وما بعدها

[xvii] – ينظر: سيبويه (ت180هـ)؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هاروون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، 131/2. المبرد(ت285هـ)؛ أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 107/4. ابن السراج (ت316هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، بغداد، 1973م، 278/1. الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، 405/2. الصبان(ت1206هـ)؛ محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 269/1

[xviii] – عمايرة؛ خليل أحمد، **في التحليل اللغوي– منهج وصفي تحليلي**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987م، 217

[xix] – **الأحاديث القدسية** دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، القاهرة، مصر، 2003م، 81

[xx] – **الأحاديث القدسية**، 250 .

[xxi] – **الأحاديث القدسية**، 23

[xxii] – **الأحاديث القدسية**، 345 (حديث الشفاعة)

[xxiii] – **الأحاديث القدسية**، 25 حديث (كثرة قول النبي –صلى الله عليه وسلم– سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، وأتوب إليه)

[xxiv] – **الأحاديث القدسية**، 384 حديث (الشفاعة)

[xxv] – **سورة النصر**، 1-3

[xxvi] – **الأحاديث القدسية**، 384

[xxvii] – **الأحاديث القدسية**، 384 حديث (الشفاعة)

[xxviii] – **الأحاديث القدسية**، 360

[xxix] – **الأحاديث القدسية**، 96

[xxx] – **الأحاديث القدسية**، 96

[xxxi] – **الأحاديث القدسية**، 374

xxxii – **الأحاديث القدسية**، 128

xxxiii – **الأحاديث القدسية**، 374

xxxiv – **الأحاديث القدسية**، 26

xxxv – **الأحاديث القدسية**، 250

xxxvi – **الأحاديث القدسية**، 301–302

xxxvii – **الأحاديث القدسية**، 26

xxxviii – **الأحاديث القدسية**، 250

xxxix – **الأحاديث القدسية**، 301–302

xl – في الجمل الثلاثة الأولى تقدم الخبر على مبتدئه وجوباً؛ لتحقق الشرطان، وهما: أولهما مجيء المبتدأ نكرة، وثانيهما كون الخبر شبه جملة.

xli – **الأحاديث القدسية**، 215 حديث (ما يكون من الفتن)

xlii – **الأحاديث القدسية**، 257 حديث (ما جاء في طلب موسى الاجتماع بالخضر –عليهما السلام–)

xliii – **الأحاديث القدسية**، 87 حديث (ما جاء في أن الخشية من الله تعالى والخوف منه من أسباب مغفرة الذنوب)

xliv – **الأحاديث القدسية**، 87

xlv – **الأحاديث القدسية**، 146 حديث (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هو صلاته).

xlvi – **الأحاديث القدسية**، 170 حديث (دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمته عشيّة عرفة بالمغفرة)

xlvii – **الأحاديث القدسية**، 208 حديث (الإنكار على الإسراف في القصاص، وإنما القصاص من الجاني).

xlviii – **الأحاديث القدسية**، 208

xlix – **الأحاديث القدسية**، 291 حديث (من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه)

l – ينظر: ابن يعيش (ت643هـ) موفق الدين يعيش بن علي، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 25/9. وابن هشام الأنصاري (ت761هـ)؛ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، 228/1

li – يسميها النحاة البصريون (لام الابتداء) ينظر: سيبويه، **الكتاب**، 276/2. الأزهري (ت905هـ)؛ خالد بن عبد الله، **شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك**، تصيح ومراجعة، لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى، دار الفكر، بيروت، 222/1. وعند الكوفيين واقعة في جواب قسم مقدر؛ لذا سموها بـ(لام القسم) أو (لام اليمين). ينظر: الأنباري (ت 577هـ): كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ط2، 1953م، 299/1

lii – الرماني (ت384هـ)؛ أبو الحسن علي، **معاني الحروف**، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة، ط3، 1984م، 41.

liii – الزركشي (ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980م، 471/2

liv –[6:الرعد] .

lv –[46:فصلت].

lvi – ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، 228/1

lvii – الجرجاني (ت 471هـ)؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، 252

lviii – **الأحاديث القدسية**، 170. عشية عرفة دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– لأمته بالمغفرة، فكان لإبليس ذاك الموقف، كارهاً مقهوراً ممتقعاً بأن يُغفر لأمة محمد – صلوات الله عليه– فضحك الرسول مما فعل، فسأله أصحابه عن سرّ ضحكه في ذلك، فأجابهم مؤكّداً ونافياً استبعاد مثل هذا الخبر فقال:«إنّ عَدُوَّ اللهِ إبْليسَ لما عَلِمَ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجابَ دُعائي وَغَفَرَ لأُمَّتي، أَخَذَ التُّرابَ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلى رَأْسِهِ، وَيَدْعو بِالوَيْلِ والثُّبورِ، فَأَضْحَكَني ما رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ» سبق شرحه.

lix – أي: المغاضب المجادل. ابن منظور، **اللسان**، (رغم)

lx – **الأحاديث القدسية**، 202 حديث (ثواب قبض الولد) باب (من جاء فيمن أصيب بسقط)

lxi – **الأحاديث القدسية**، 202 حديث (ثواب قبض الولد)

lxii – **الأحاديث القدسية**، 287 حديث (إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره)

lxiii – **الأحاديث القدسية**، 287

lxiv – **الأحاديث القدسية**، 307 حديث (يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار من ذريتك)

lxv – **الأحاديث القدسية**، 308

lxvi – **الأحاديث القدسية**، 376 حديث الشفاعة

lxvii – **الأحاديث القدسية**، 221 حديث (إن عبداً أصاب ذنباً فقال: ربّ أصبت ذنباً)

lxviii – في حديث (يلقى العبد ربّه. يقول رب العزة له: أم أكرمك، وأسوّدك، وأزوجك...؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني). **الأحاديث القدسية**، 395

lxix – **الأحاديث القدسية**، 21 حديث (ما جاء في فضل ذكر الله تعالى وكلمة التوحيد)

lxx – ينظر:الأنباري، **الإنصاف**، 197/1. وابن منظور، **لسان العرب**، (أنن)

lxxi – ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (أنن) . والخطيب؛ طاهر يوسف، **المعجم المفصل في الإعراب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، 342

lxxii – يحشرون إلى جهنم كأنها سراب، 367 ، حديث (الشفاعة)



lxxiii - **الأحاديث القدسية،** 366 حديث (الشفاعة)

lxxiv - **الأحاديث القدسية،** 345 حديث (الشفاعة)

lxxv - عتقاء الرحمن من النار.

lxxvi - **الأحاديث القدسية،** 347 ، حديث (الشفاعة)

lxxvii - نستثني (لكن) الخفيفة لأنها دخلت على الفعل، واسم الفعل في السياقات القدسية: «ولكن ائتوا خليل الرحمن... ولكن ائتوا موسى... ولكن ائتوا محمداً»(ص351). و: «ولكن عليكم بموسى...ولكن عليكم بعيسى...ولكن عليكم بمحمد...»، 356، تعد (لكن) حرف عطف، واختلف البصريون والكوفيون في جواز العطف بها بعد الإيجاب. للمزيد ينظر: الأنباري، **الإنصاف،** 2/484-488

lxxviii - ينظر: ابن يعيش(ت643هـ)؛ الشيخ موفق الدين، **شرح المفصل،** عالم الكتب، بيروت، 80/8. اختلف البصريون والكوفيون في جواز العطف بلكن بعد الإيجاب. للمزيد ينظر: الأنباري، **الإنصاف،** 2/484-488

lxxix - **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxx - **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxi - **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxii - **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxiii - **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxiv - **الأحاديث القدسية،** 283 حديث (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه...)

lxxxv - **الأحاديث القدسية،** 291 حديث (من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه)

lxxxvi - **الأحاديث القدسية،** 307 حديث (يقال يوم القيامة لآدم –عليه السلام- أخرج بعث النار من ذريتك)

lxxxvii - ينظر: المبرد، (ت285هـ)؛ أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب،** تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، 389/4. وابن يعيش، **شرح المفصل،** 87/2.

lxxxviii - ينظر: الجرجاني(ت471هـ)؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز،** تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م، 328. والسكاكي(ت626هـ)؛ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، **مفتاح العلوم،** تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، ط1، 1981م، 507. الزركشي(ت794هـ)؛ بدر الدين محمد بن عبد الله، **الاتقان في علوم القرآن،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، 1980، 149/3.

lxxxix – ينظر: القزويني(ت739هـ)؛ الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 122-123. وطبانة؛ بدوي، **معجم البلاغة العربية**، جامعة طرابلس، كلية التربية، 1975م، 709/2. وعباس؛ فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها–علم المعاني–**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1987م، 372.

xc – يس، 15

xci – فاطر، 23

xcii – التوبة، 28

xciii – ينظر: الجواري؛ أحمد عبد الستار، **نحو المعاني**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1987م،120-130 بتصرف.

xciv – فاطر، 22، 23

xcv – الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 333-334

xcvi – النازعات، 45

xcvii – الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 330-331 بتصرف

xcviii – ينظر: عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، 378

xcix – القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 126

c – ينظر: **الإيضاح**، 125

ci – [البقرة:173]

cii – الجواري، **نحو المعاني** 125

ciii – ابن هشام، ص 308

civ – ينظر: القزويني، **الإيضاح، 130**. الهاشمي، جواهر البلاغة، 155

cv – ينظر: سيبويه، **الكتاب**، 128/2.

cvi – الأحاديث القدسية، 251 ، حديث(حرمت الظلم على نفسي)

cvii – الأحاديث القدسية، 252، حديث (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي)

cviii – الزمر، 9



cix – الجرجاني، دلائل الإعجاز، 333-357 بتصرف

cx – ينظر: سيبويه، **الكتاب**، 223/4. المبرد، **المقتضب**، 118/4. وابن يعيش، **شرح المفصل**، 107/8. ابن هشام، **مغني اللبيب**، 296/2. الاستربادي(ت686هـ)؛ أبو محمد عبدالله بن جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، **شرح الرضي على الكافية**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980، 226/1و221/2

cxi – **الكتاب**، 310/3

cxii – الزركشي، **الاتقان في علوم القرآن**، 241/4

cxiii – ينظر القزويني، **الإيضاح**، 125.

cxiv – **الأحاديث القدسية**، 158 ، حديث (التغليظ في الحَيْف والرشوة)

cxv – **الأحاديث القدسية**،201، حديث (ثواب قبض الولد)

cxvi – الرَّقْمَة تعني: الهَنَة الناتئة في ذراع الدّابّة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها، وقيل الرقمتان اللتان في باطن ذراعي الفرس، لا تنبتان الشعر. والمرقوم من الدواب: الذي في قوائمه خطوط كيّات. وفي التهذيب: المرقوم من الدواب الذي يكوى على أَوْظِفَتِهِ،كيّات صغاراً، فكل واحدة منها رَقمة. وينعت بها الحمار الوحشي لسواد على قوائمه. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رقم)

cxvii – **الأحاديث القدسية**، 309 حديث (يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار من ذريتك)

cxviii – **الأحاديث القدسية**، 435 حديث (يلقى على أهل النار الجوع)

cxix – **الأحاديث القدسية**،23-24 حديث (إذا قال العبد: لا إله إلا الله، يقول الله: صدق عبدي)

cxx – **الكتاب**، 104/3

cxxi – ذهب علماء العربية إلى أن جملة القسم تكون جملة فعلية أو اسمية وفق تقدير المحذوف، مثل: (أقسم) بالله، ولعمرك (قسمي)...المحذوف ما بين القوسين. للمزيد ينظر: سيبويه، الكتاب، 104/2، 3/ 497. ابن يعيش، **شرح** المفصل، 91/9. ابن عصفور(ت669هـ)؛ أبو الحسن علي بن مؤمن، **المقرب**، تحقيق عبد الله الجبوري وصاحبه، مطبعة العاني، بغداد، 1971م، 204/1. المالقي(ت102هـ)؛ أحمد بن عبد النور، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1975م، 171. ابن أم قاسم المرادي(ت749هـ)؛ حسن بن قاسم بن عبد الله، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق طه محسن، بغداد، 1976م، 117، 144، 185. شعير؛ محمد رزق، **الجمل المحتملة للاسمية والفعلية**، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر.(د.ت)، جملة القسم 85 وما بعدها

cxxii – سيبويه، **الكتاب**، 104/3

cxxiii – للمزيد: ينظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، 90/9 وما بعدها

cxxiv – **الأحاديث القدسية**، 162 حديث (الصيام لي، وأنا أجزي به)

cxxv – **الأحاديث القدسية**، 163 حديث (الصيام لي، وأنا أجزي به)

cxxvi – **الأحاديث القدسية**، 264 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxvii – **الأحاديث القدسية**، 265 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxviii – **الأحاديث القدسية**، 265- 266 حديث (أسلم سالمها الله تعالى)

cxxix – **الأحاديث القدسية**، 196 حديث (صفة النبي صلى الله عليه وسلم- في التوراة)

cxxx – **الأحاديث القدسية**، 255 حديث (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري)

cxxxi – **الأحاديث القدسية**، 358 حديث (الشفاعة)